الكتاب: نقش خواتيم النبي (ص) والأئمة (ع)
المؤلف: السيد جعفر مرتضى
الجزء:
الوفاة: معاصر
المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة
تحقيق:
الطبعة:
سنة الطبع:
المطبعة:
الناشر:
ردمك:
ملاحظات:

بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين، إلي يوم الدين...
وبعد..
فهذا بحث مقتضب حول نقش خواتيم الأئمة عليهم الصلاة والسلام، ودلالاتها ومراميها، كتبته للمؤتمر الذي ينعقد في مدينة " مشهد " حول الأمام الرضا عليه السلام: حياته، ومواقفه وتاريخه.. ولكن طبيعة البحث قد فرضت علي التعرض لخواتيم المعصومين الأربعة عشر تقريبا..
أسأل الله سبحانه أن ينفع بما كتبت ويجعله خالصا لوجهه الكريم، ويجعل ثوابه لشهداء الإسلام الأبرار في إيران الإسلام والثورة، وغيرها من بلاد العالم الإسلامي،

التي تتعرض للمؤامرات القذرة من قبل الاستعمار وعملائه الأشرار.
وفقنا الله للسير على هدى الإسلام، والالتزام بتعاليمه السامية، ومنه نستمد العون والقوة وعليه المعتمد والتكلان.
٢٣ / شعبان / ١٤٠٤ ه.
جعفر مرتضى الحسيني العاملي
تمهيد:

إن أئمتنا الأطهار عليهم السلام، هم القدوة، وهم الأسوة وهم أعلام الهداية من كلماتهم تقتبس العلوم والمعارف، ومن حياتهم ومواقفهم تلتمس العظات، والعبر، والأحكام.

كما أن مما لا شك فيه.. هو إن كثيرا بل أكثر جوانب حياتهم صلوات الله وسلامه عليهم لم تنل بعد ما تستحقه من العناية والاهتمام، ولم تزل رهن الإبهام والغموض، لم يتعرض العلماء والباحثون لكشف غوامضها، ولا لتوضيح وحل مبهماتها.

وقد نجد كثيرا من مواقفهم وجوانب حياتهم قد اعتبرت غير ذات أهمية أو غير ذات مدلول حي يعطيها من القيمة ما يجعلها جديرة بالبحث والدرس والتمحيص وإذن فما على الباحث أو القارئ إلا أن يمضي عنها، ويتجاوزها إلى غيرها، مما يعتقد أن فيه فائدة أتم وأعلا ونفعا أعظم وأغلى..

ولكن الحقيقة هي: إن ذلك لم يكن - على الأقل - هو الموقف الصحيح والسليم، فان هذه الأمور

بالذات، قد كانت ذا مغزى عميق ومدلول هام ودقيق، وهي تدخل في نطاق خطتهم النضالية والرسالية والتعليمية المرسومة، لأنها إنما تعني موقفا مبدئيا ورساليا، لا يمكن التفريط فيه ولا التنازل عنه.

وليكن ما كان ينقشه كل إمام على الخاتم، الذي كان يتختم به، هو ذلك المثال الحي، والبارز الذي نختار الإشارة إليه والتركيز في بحثنا المقتضب هذا عليه..

فإننا وبكلمة موجزة وسريعة نعتقد:

إن ما كان ينقشه كل إمام من أئمتنا عليهم السلام، على الخاتم الذي يختار التختم به، وكذلك تختمه عليه السلام بما كان مختصا بالأئمة الذين سبقوه لم يكن لمجرد البركة، ولا لمحض الترف الفكري، ولا كان أمرا عفويا على الإطلاق. وانما كان يعبر – عموما – عن ظاهرة من نوع معين، وعن ظروف نفسية واجتماعية، وسياسية وعن مفهوم عقائدي أو ديني وغير ذلك، وكذلك عن مميزات وملكات شخصية خاصة لابد من التعبير عنها، أو تسجيل موقف ولو بهذا المستوى منها.

ونستطيع أن نؤكد على وجهة نظرنا هذه، استنادا إلى ما نملكه من تصور مهما كان ناقصا ومحدودا عن تلك الظروف والأحوال، والتقلبات التي واجهها الأئمة عليهم السلام في العصور المختلفة، وفرض عليهم التأثير فيها، أو التفاعل معها. وانه وان كانت المناسبة غير قادرة، أو بالأحرى لا تسمح لنا بالتوسع في هذا الموضوع، وحشد الأدلة والشواهد الكثيرة مع مصادرها على كثير مما نود الإشارة إليه، مما يمكن أن يكون موضع شبهة وريب لدى البعض..

إلا أننا لسوف نعتبر: أن قيمة هذا البحث وأهميته لا بد وأن تفرض على الجميع المزيد من التأمل، والمزيد من التروي في الأحكام التي يصدرونها أيا كان نوع تلك الأحكام، وأيا كانت منطلقاتها ومبرراتها..

نقاط لا بد من الإشارة إليها:

وإذا ما أردنا توضيح بعض ما نرمي إليه هنا.. فلا بد أولا من الإشارة إلى النقاط التالية:

١ - إن الخاتم يعتبر شعارا، له دلالته الخاصة، واعتباراته المتميزة، كما يظهر من ملاحظة التاريخ (١)

٢ - إن من يتأمل ما ورد في الأخبار والنصوص من اختلاف ظاهر بين العبارات التي كان يكتبها الأئمة على الخواتيم التي كانوا يلبسونها.. وحتى في العبارات المختلفة التي كانت تنقش على الخواتيم المتعددة التي لإمام واحد. إن من يتأمل ذلك، يخرج بحقيقة:

إنها تحمل في طياتها إشارات شديدة الوضوح أحيانا، وفيها شئ من الخفاء أحيانا أخرى لأمور هامة نابعة من طبيعة المرحلة التي كانوا يعايشونها ومن واقع الاهتمامات التي كانت تفرض نفسها عليهم.. وكانت من الخطورة والأهمية بحيث كان لابد لهم من الإشارة إليها، وتحديد موقفهم منها، ولو بهذا المستوى وحتى بهذا الأسلوب.

ولسنا بحاجة في مجال التدليل على ذلك إلا للإشارة إلي مثال واحد، واحد فقط.. وهو مدى التفاوت بين ما

---

(١) راجع. مآثر الإفاقة ج ٢ ص ٢٣٢ وفي هامشه عن صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٧٣.

كتب على الخاتم الذي كان يلبسه الإمام الحسين عليه السلام، وهو: " إن الله بالغ أمره ".. وبين ما كتب على الخاتم الذي كان يلبسه الإمام السجاد صلوات الله وسلامه عليه، وهو: " خزي وشقي قاتل الحسين بن علي عليه السلام ".

٣ - إن من يراجع الأحاديث التي وردت فيها الإشارة إلى تلك النقوش يلمس بوضوح أن ثمة تعمدا وإصرارا منهم عليهم السلام إلى بيان هذا الأمر واهتماما بالغا بتوجيه الأنظار إليه، واعلام الناس به.. ليس فقط بالنسبة لخواتيم الأئمة عليهم السلام وإنما حتى بالنسبة لنقوش الخواتيم التي كان يتختم بها الأنبياء السابقون عليهم الصلاة والسلام في محاولة ظاهرة منهم عليهم السلام للتركيز والتأكيد على حقيقة يهتمون بتقريرها أو اتجاه معين، لابد من التوجيه إليه والتأكيد عليه، أو ضرب وإدانة مفهوم أو اتجاه آخر، أو ظاهرة من نوع ما.. تفرض المسؤولية الرسالية تسجيل موقف رافض منها، حتى ولو من أجل تعريف الأجيال الآتية، وإظهار ما يمكن إظهاره

من الحقائق لها.. فنجد الحسين بن خالد يسأل الأمام الرضا عليه السلام عن نقش خاتم أمير المؤمنين علي عليه السلام فيقول له: " ولم لم تسألني عما كان قبله "؟!
ثم يذكر له نقوش خواتيم الأنبياء ثم الأئمة الذين سبقوه عليه الصلاة والسلام (١).
٤ – إننا نجد النقول الحديثة والتاريخية تذكر نصوصا مختلفة لنقش الخواتيم، حتى بالنسبة لإمام واحد من أئمتنا الأطهار وإذا كنا لا نجد ضرورة، ولا داعيا لتعمد الكذب من أحد في أمور كهذه، ما دامت قلما تثير شكوك أو حساسيات الآخرين، لأنهم قلما يلتفتون إلى مغازيها ومراميها الحقيقية..
وإذا كنا أيضا نجد كل واحد من تلك النقوش منسجما مع التحليل الموضوعي والمقبول لطبيعة المرحلة والظروف التي واجهها الأئمة عليهم السلام في فترات مختلفة، بحيث جاء كل واحد من تلك النصوص منسجما مع الظرف والمرحلة التي هو فيها.. حتى إذا طرأ عليها

---

(١) سيأتي هذا الحديث مع مصادره عن قريب ان شاء الله

تغيير من نوع ما فإننا نجد أن النص الأخر يأتي منسجما مع المستجدات، كما سنوضحه إنشاء الله تعالى.
إذا كنا نجد ذلك: فإننا لا نرى بعد، أي مانع من الاعتقاد بصحة أكثر أو كل تلك النصوص وإنها إن كانت قد تعرضت لشيء من التغيير والتحوير فإنما اقتضاه البعد الزماني الشاسع الذي يحمل معه – عادة – الكثير من التصحيف والتحريف المعنوي، والسهو والخطأ من الرواة والنساخ، وذلك أمر ليس بعزيز.
وإننا إذا راجعنا الروايات في هذا المجال فلسوف نجد إشارات صريحة إلى هذا التغيير العمدي في نقش الخاتم الذي يلبسه الأمام منهم عليهم السلام، ثم تعمد إظهار ذلك التغيير والتبديل.. وكشاهد على ذلك نشير إلى ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام قال: في خاتمي مكتوب: " الله خالق كل شئ ". وعن الرضا عليه السلام: " نقش خاتمي: ما شاء الله القوة إلا بالله "، وعنه عليه السلام: " كان نقش خاتم أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: " حسبي الله " قال: " وبسط الرضا

كفه وخاتم أبيه في إصبعه حتى أراني النقش " وأخرج الرضا عليه السلام خاتم أبي عبد الله الصادق عليه السلام: " أنت ثقتي فاعصمني من الناس (١) بل يظهر من أكثر الأحاديث التي وردت في هذا المعنى: أن الأمام عليه السلام هو البادئ في بيان نقوش خواتيم الأئمة والأنبياء وليس فيها إشارة إلى طلب ذلك من سائل إلا فيما ندر.

٥ - إننا نجد في تلك النصوص والروايات: أن بعض الأئمة كان يتختم بخاتم أبيه، أو أحد الأئمة السابقين مطلقا، أو في يوم الجمعة مثلا، ويكون له في نفس الوقت خاتم آخر يختص به له نقش آخر أيضا..

ولعل الملاحظة الدقيقة: تعطي انه قد كان ثمة تداخل في الدورات الزمانية، وفي الأحوال والأوضاع والظروف التي كانت تواجه الأئمة عليهم السلام.. الأمر الذي يفرض وحدة الموقف من قبل أكثر من إمام. وقد تنشأ ظواهر وظروف جديدة إلى جانب تلك، أو منفصلة

---

(١) سيأتي مصادر ذلك كله في مورده ان شاء الله تعالى

بحيث تمس الحاجة إلى تسجيل موقف آخر، يرافق ذلك الموقف لفترة طويلة أو قصيرة، أو ينفصل عنه..
وقد تنقطع هذه الظاهرة أو تضعف لفترة ما ثم تعود للظهور والقوة من جديد، الأمر الذي يستدعي العودة للإشارة إليها، أو مقاومتها ومقارعتها أو تسجيل موقف تجاهها للتاريخ وللأجيال، بالسبل المناسبة والمتوفرة بالفعل..
٦ - وحديثنا هنا.. وان كان يفترض فيه أن يركز ويعالج خصوص ما يرتبط بحياة ثامن الأئمة، الإمام علي بن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه أجمعين...
إلا أن حياة الأئمة في واقع الأمر، وبالنسبة لخصوص هذا الأمر لا يمكن فصلها بعضها عن بعض ما دام أنهم عليهم السلام يمثلون خطا واحدا، ويعملون من منطلق واحد، ومن أجل هدف واحد، وان اختلفت الظروف التي فرضت على كل واحد منهم آثارها المتخالفة كما هو معلوم...

وإذن فان من الطبيعي أن يستدعي حديثنا عن هذا الأمر بالذات استعراضا موجزا ومحدودا جدا لنقوش الخواتيم التي كان يتختم بها الأئمة السابقون عليهم السلام، وحتى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة الزهراء عليها السلام ولما ترمي إليهم.. ويساهم ذلك في فهم أعمق للنقش الذي كان على الخاتم الذي كان يتختم به الأمام الرضا عليه الصلاة والسلام...

ولا نريد أن ندعي: أننا قد اكتشفنا كل الحقيقة في هذا المجال... لكننا نقول: ليكن ما نشير إليه هنا هو الخطوة الأولى والبداية الموجزة والمحدودة، التي تحتاج لتكاملها ونضجها لمزيد من التأمل والجهد والمثابرة...

وبعد كل ذلك نقول: إننا سوف نتكلم في هذا المجال على النحو التالي:

حديث جامع في نقش خواتيم الأئمة عليهم السلام:

لقد روي عن الأمام الرضا عليه السلام حديث جامع ذكر فيه نقوش خواتيم الأئمة الذين سبقوه بل تعرض فيه لنقوش خواتيم بعض الأنبياء أيضا.
حيث سأله الحسين بن خالد الصيرفي: " وما كان نقش خاتم أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: ولم لا تسألني عما كان قبله؟ قلت: فأنا أسألك؟ قال: نقش خاتم آدم عليه
السلام: " لا اله إلا الله محمد رسول الله " هبط به معه... " وزاد في بعض المصادر: " علي ولي الله ". ثم ذكر ما جرى لنوح ونجاة الله تعالى له من الغرق، وأن نقش خاتمه كان: " لا اله إلا الله ألف مرة، يا رب أصلحني " ثم ذكر عليه السلام ما جرى على إبراهيم، حينما أرادوا إحراقه وان الله اهبط إليه خاتما فيه ستة أحرف: " لا اله إلا الله، محمد رسول الله، لا حول ولا قوة إلا بالله فوضت أمري إلى الله، أسندت ظهري إلى الله حسبي الله " ثم ذكران نقش خاتم موسى: " اصبر تؤجر، أصدق تنج ". ثم قال عليه السلام: " وكان نقش خاتم سليمان عليه السلام: "

سبحان من ألجم الجن بكلماته " وكان نقش عيسى حرفين اشتقهما من الإنجيل: " طوبى لعبد ذكر الله من أجله، وويل لعبد نسي الله من أجله " وكان نقش خاتم محمد صلى الله عليه وآله: " لا اله إلا الله، محمد رسول " وكان نقش خاتم أمير المؤمنين عليه السلام: " الملك لله "، وكان نقش خاتم الحسن بن علي عليهما السلام: " العزة لله " وكان نقش خاتم الحسين عليه السلام: " إن الله بالغ أمره ".
وكان علي بن الحسين عليه السلام يتختم بخاتم أبيه الحسين عليه السلام. وكان محمد بن علي عليه السلام يتختم بخاتم الحسين بن علي عليهما السلام.
وكان نقش خاتم جعفر بن محمد عليهما السلام: " الله وليي وعصمتي من خلقه ".
وكان نقش خاتم أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام: " حسبي الله ".

قال الحسين بن خالد: " وبسط أبو الحسن الرضا عليه السلام كفه، وخاتم أبيه عليه السلام في إصبعه حتى أراني النقش " (١)
محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن يونس بن ظبيان وحفص بن غياث جميعا، عن أبي عبد الله، قلنا: جعلنا فداك، أيكره أن يكتب الرجل في خاتمه غير اسمه واسم أبيه؟ فقال:
في خاتمي مكتوب: " الله خالق كل شئ " وفي خاتم أبي محمد بن علي عليهما السلام، وكان خير محمدي رأيته بعيني: " العزة لله " وفي خاتم علي بن الحسين عليهما السلام: " الحمد لله العلي العظيم "، وفي

---

(١) أمالي الصدوق ص ٤٠٩ و ٤١٠ عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٥٥ / ٥٦ وراجع. البحار ج ١١ ص ٦٢ / ٦٣ ومسند الامام الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٣٦٧ / ٣٦٤ / ٣٦٨ / ٣٦٥ والوسائل ج ٣ ص ٤١٠ / ٤١١ / ٤١٢ والكافي ج ٦ ص ٤٧٤ ومكارم الأخلاق ص ٩١ / ٩٢ وراجع أيضا: الخصال ج ١ ص ٣٣٥ لكنه ذكر شطرا من الحديث, وهو نقش خاتم آدم, ونوح, إبراهيم عليهم السلام وقد قطع صاحب البحار وغيره هذا الحديث. وذكروا نتفا منه في المناسبات المختلفة حسبما يقتضيه المقام.

خاتم الحسن والحسين عليهما السلام: " حسبي الله " وفي خاتم أمير المؤمنين عليه السلام: " الله الملك " (١)
الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:
ألف – أما فيما يرتبط بنقش الخاتم الذي كان يتختم به نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فإنما صنع الخاتم له صلى الله عليه وآله وتختم به في المدينة المنورة، بعد الهجرة، أي بعد أن تحققت الأمنية الكبرى وعز الإسلام، وأرسيت دعائم الدولة الإسلامية، وصدق الله سبحانه وعده، وأعز جنده ونصر عبده.. فكان لا بد من تسجيل ذلك، والإشادة به، ثم التذكير للموجودين آنئذ، بل وإفهام كل واحد من غيرهم بأن كل ذلك قد جاء وفق ما وعد الله به نبيه الكريم... الأمر الذي يستدعي المزيد من الارتباط به سبحانه والالتجاء إليه، والتوكل في جميع الأمور عليه...

---

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ والوسائل ج ٣ ص ٤٠٨.

وذلك ما يفسر لنا كون نقش خاتمه صلى الله عليه وآله هو: " صدق الله " (١)
باء – ومن جهة أخرى فقد كانت مهمة النبي صلى الله عليه وآله أقدس وأخطر مهمة يتصدى إنسان للقيام بها على وجه الأرض.. فكان طبيعيا أن يكون نقش الخاتم الذي يتختم به صلى الله عليه وآله يتضمن أقدس كلمة وأخطر شعار نذر نفسه من أجله وفي سبيله، فزاد على قوله: " صدق الله " كلمة " محمد رسول الله " حسبما نقله أبو خلدة عن أبي العالية. (٢)
وعن الإمام الصادق عليه السلام. انه كان له صلى الله عليه وآله خاتم آخر غير الأول مكتوب عليه: " لا اله إلا الله محمد رسول الله " (٣)

---

(١) راجع: الخصال ج ١ ص ٦١ والوسائل ج ٣ ص ٤١١ والبحار ج ١٦ ص ٩٦ وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٦ وعيون الاخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٣٠٢.
(٢) طبقات ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ١٥٦ لكن في عيون الأخبار ج ١ ص ٣٠٢ أن الخلفاء الحقوا ذلك
(٣) الخصال ج ١ ص ٦١ والوسائل ج ٣ ٤١١ والبحار ج ١٦ ص ٩٦ وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٦ وليراجع ص ٩٥ و ج ١١ ص ٦٣ والتراتيب الإدارية ج ١ ص ١٨٠ والحديث الجامع المتقدم عن الامام الرضا عليه السلام.

وفي نص آخر: " إن نقش خاتمه صلى الله عليه وآله كان: " محمد رسول الله " (١)
ورواية أخرى تقول: انه كان: " بسم الله محمد رسول الله ". (٢)
نعم: إن ذلك قد كان من أجل تقرير هذا الشعار وتثبيته وترسيخه في النفوس، وليختم به رسائله للملوك والحكام، معلنا لهم إصراره على متابعة المسيرة حتى يعم الإسلام العالم، وترتفع رايته خفاقة على جميع بقاع الأرض..

جيم - وبعد ذلك.. وإذا كان الكثيرون يحسبون أن هذه الدعوة ما هي إلا سحابة صيف لا تلبث أن تنحسر ولا تلبث أن تنتهي، ولأجل ذلك فهم يعدون أنفسهم، ويتخذون مواقفهم، ويقيمون تعاملهم

---

(١) راجع: الكافي ج ٦ ص ٤٧٤, ٤٧٣ ودعائم الاسلام ج ٢ ص ١٦٥ وقرب الاسناد ص ٣١ ومكارم الاخلاق ص ٥٨ و ٩١, ٩٠, ٨٩ ومسند الامام الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٣٦٦ و ٣٦٨ وسنن البيهقي ج ٤ ص ١٤٢, وقال ان البخاري ومسلما قد أخرجاه أيضا. والبحار ج ١٦ ص ١٢٢ / ١٢٤ والوسائل ج ١ ص ٢٣٣ و ج ٣ ص ٤٠٩ والتراتيب الإدارية ج ١ ص ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ عن البخاري ومسلم والترمذي، والسيوطي, وتاريخ ابن كثير، والطبقات ومختصر التاريخ لابن الكازروني ص ٥٩ وطبقات ابن سعد ج ١ ص ١٦٢ / ١٦٣ / ١٦٤ / ١٦٥ ومآثر الإنافة ج ٢ ص ٢٣٢ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٣٠٢ / ٤ عن أبي داوود, والبخاري وعن مسلم, وأهل السنن الأربعة.

(٢) التراتيب الإدارية ج ١ ص ١٧٩ / ١٨٠ وطبقات ابن سعد ج ١ ص ١٦٤

معها على هذا الأساس فان من الطبيعي أن يشير صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن لهذه الرسالة امتدادا من بعده، ويفهمهم: أن بقاءها ليس مرهونا بشخصه الشريف، وأن لديها من التخطيط المستقبل ما يكفي لدوامها وبقائها بقوة وبحيوية، من خلال الولي الحافظ لها، والمدافع عنها، فيأتي النص الآخر ليشير إلى هذه الحقيقة، فيقول: انه قد أضيف كلمة أخرى إلى نقش خاتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى صار: " محمد رسول الله، علي ولي الله ". (١)

٢ - فاطمة الزهراء عليه السلام:

وينتقل الرسول الأعظم إلى الرفيق الأعلى، وتواجه ابنته فاطمة الزهراء التحدي، وتتعرض لكثير من الإهانات، وللظلم والابتزاز، بل وللاعتداء عليها بضربها..

---

(١) البحار ج ١٦ ص ٩٢ و ج ٤٠ ص ٣٧ / ٣٨ وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٦

و التهديد، أو الشروع بإحراق بيتها عليها وعلى جميع من فيه.. إلى غير ذلك مما لا يجهله أحد..
و تقول فاطمة كلمتها، وتسجل موقفها الرسالي الرائد.. وتعلنها صريحة مدوية: إنها لا تجد في كل ذلك وسواه ما يخيف أو ما يرهب، لأن روحها الصافية ترتبط بالله، وبالله وحده، ولأنها لا تلجأ إلا إليه، ولا تعتمد ولا تتوكل في كل أمورها إلا عليه، فيكون نقش الخاتم المختص بها هو: " آمن المتوكلون (١)
٣ - أمير المؤمنين عليه السلام:
أما بالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام فإننا نلاحظ:
أنه قد كان له عليه السلام خواتيم متعددة الأنواع، مختلفة النقش..

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ٩ عن مصباح الكفعمي, وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٦

ونلاحظ أيضا: أنه عليه السلام حينما تولى الخلافة قد غير نقش خاتمه عما كان عليه قبل ذلك ونلاحظ كذلك: أنه حتى في أيام خلافته قد اختلفت الخواتيم التي كان يستعملها؛ فنجد: أن خاتمه حينما صالح أهل الشام يختلف عن غيره مما كان يتختم به في ظروف أخرى..

واستيفاء الكلام فيما يرتبط بنقش خواتيمه عليه السلام متعسر، بل متعذر في عجالة كهذه، ولأجل ذلك فإننا سوف نكتفي هنا بالإشارة إلى ما يلي:

ألف: إن أمير المؤمنين عليه السلام، هو ذلك العلم الشامخ، والإنسان الكامل، وهو أيضا ذلك المقاتل الفذ، والمحارب البارع، الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، بل هو يسحق ويمحق كل أعداء الله والإنسانية، ويقف في وجه جميع أصحاب الأهواء والمطامع اللا مشروعة انه - عليه السلام - يتختم بالفيروزج - الذي معناه بالفارسية: " الظفر " ليكون رمزا لظفر ونصر الحق والدين... ويتختم

بالحديد الصيني، الذي هو رمز القوة والمنعة – وبالعقيق لحرزه وحفظه. وبالياقوت لنبله..
ويكون نقش كل واحد منها متناسبا مع الواقع الذي يواجهه، والظروف التي يعاني منها..
فإذا كان عليه السلام يواجه طغيان المستبدين، وتألب الطامعين، وطلاب الملك والسلطان، ولو عن طريق التحوير والتزوير.. فإننا نجد نقش واحد من تلك الخواتيم يشير إلى الحق في الملك، في إدانة ضمنية لكل الغاصبين الذين يريدون أن يكونوا ملوكا جبارين.. ويرون أن جبروتهم وقوتهم ذاتية، وأن بيدهم حياة الناس وموتهم ورزقهم وحرمانهم..
نعم.. إننا نجده عليه السلام يشير إلى ذلك، والى أنهم إنما وصلوا إلى ما وصلوا إليه عن طريق التزوير والتحوير وأن ما يدعونه لأنفسهم ليس إلا منازعة لله سبحانه وتعالى رداءه. وليس إلا اغتصابا لمقام الله، وتعديا

على حقه سبحانه، فهو سبحانه وحده له الحق في أن يعطي الملك من يشاء، وينزعه عمن يشاء (١)
انه عليه السلام يشير إلى ذلك كله بكلمة واحدة، كتبها على أحد تلك الخواتيم، وهي " الملك لله " أو " الله الملك " (٢) أو " الله الملك الحق المبين " أو " لا اله إلا الله الملك الحق المبين " (٣)
كما انه يشير إلى انه وحده الذي يمثل الخط الرسالي الصحيح، وينقاد لله سبحانه ويستحق وسام العبودية المطلقة لله تعالى، والتي هي أعظم الدرجات،

---

(١) راجع ما قاله النبي صلى الله عليه وآله لبني عامر في كتابنا. الصحيح من سيرة النبي صلى الله عليه وآله ج ٢ ص ١٧٥ / ١٧٦
(٢) راجع الحديثين الجامعين المتقدمين ومصادرهما بالإضافة إلى: البحار ج ٤٢ ص ٦٨ و ٦٢ و ٦٩ و ٧٠ و ج ١٦ ص ١٢٢ و ٩٥ / ٩٦ والوسائل ج ١ ص ٢٣٤ و ج ٣ ص ٣٠٦ / ٣٠٥ / ٤٠٩ / ٣٩٣ / ٣٩٤ / ٤٠٥ والمناقب لابن شهرآشوب ج ٣ ص ٣٠٢ ومكارم الأخلاق ص ٨٦ / ٨٧ / ٨٩ / ٩١ وقرب الاسناد ص ٣١ / ٧٢ والكافي ج ٦ ص ٤٧٣ / ٤٧٢ و ج ٢ ص ٢٧٢ والتهذيب للشيخ الطوسي ج ١ ص ٣٢ والاستبصار ج ١ ص ٤٨ وثواب الاعمال ص ٢٠٩ و ٢١٠ والطبقات ج ٣ قسم ١ ص ٢٠.
(٣) راجع: علل الشرائع ١٥٧ والخصال ج ١ ص ١٩٩ والبحار ج ٤٢ ص ٦٨ والوسائل ج ٣ ص ٣٠٥ و ٤٠٨ وراجع عنوان المعارف ص ١٥ ومختصر التاريخ لابن الكازروني ص ٧٨.

وغاية الغايات فيزيد عبارة تدل على هذا المعنى، حتى يصير نقش خاتمه (ع): " الله الملك وعلي عبده (١)
وفي إشارة منه عليه السلام إلى ما يدعيه أولئك الجبارون من العزة والمنعة نجد أن نقش خاتمه الآخر هو: " العزة لله جميعا " (٢)
باء: وإذا كان نقش خاتمه (ع) قبل أن يتولى الخلافة هو " الملك لله "، فإنه بعد أن تولاها قد نقش على خاتمه " الملك لله الواحد القهار (٣) وبعض النصوص تقول أن العبارة الأولى كانت على جانب، فلما تولى الخلافة نقش العبارة الثانية على الجانب الآخر (٤)
فهو صلوات الله وسلامه عليه يرى – سواء قبل الخلافة أو بعدها – أن الله وحده هو الملك حقيقة، ولا ملك سواه وهو ينقش ذلك على خاتمه ليذكر نفسه وكل

---

(١) جواهر الاخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار المطبوع بهامش البحر الزخار ج ٥ ص ٣٧٠
(٢) راجع, علل الشرايع ص ١٥٧ والخصال ج ١ ص ١٩٩ والبحار ج ٤٢ ص ٦٨ والوسائل ج ٣ ص ٣٠٥ / ٤٠٨
(٣) راجع: ج ٨ ص ٣١٤ من وسائل الشيعة في الهامش عن الأمان من أخطار الزمان لابن طاووس ص ٣٤ وراجع تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٨٣ ومآثر الإنافة ج ١ ص ١٠٠
(٤) راجع: وسائل الشيعة ج ٨ ص ٣١٤ في الهامش عن الأمان من أخطار الزمان ص ٣٤

أحد بأن خلافته لم تغير هذا المفهوم عنده.. فالله هو الواحد المتفرد بالألوهية، والذي لا شريك له، هو الملك وكل من عداه لا يملك لنفسه – فضلا عن غيره – نفعا ولا ضر.. فلا يجب أن يرتفع الناس بهم إلى مراتب لا يستحقونها، ولا يتوقعوا منهم ما لا يملكون إعطاءه ولا منعه.

وإذا كان الله سبحانه هو القهار فوق عباده، وكل من عداه فهو ضعيف ومقهور أمام عظمته وسلطانه سبحانه.. فان عليه بعد أن وصل إلى الحكم. أن يضع هذه الحقيقة نصب عينيه دائما وأبدا وأن يعلم: انه ليس إلا مجريا لأحكام الله سبحانه.. وليس له أن يكون قهارا ولا جبارا، ولا يجوز له أن يتجاوز حده، ما دام أن الملك ليس له، وانما هو لله الواحد القهار، والله هو الحاضر والناظر والمهيمن.

جيم: وان مما يلفت النظر حقا ما رواه ابن سعد: " عن أبي إسحاق الشيباني، قال: قرأت نقش خاتم علي بن أبي طالب في صلح أهل الشام: " محمد رسول الله " (١)
وعن علي بن حسين، قال: كان خاتم رسول الله (ص) مع أبي بكر وعمر، فلما أخذه عثمان سقط فهلك فنقش علي نقشه " (٢)
وما ذلك إلا من أجل أن يفهم معاوية والناس جميعا أنه هو الذي يمثل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو خليفته الشرعي الذي يتوثب المتوثبون على حقه وتراثه " أرى تراثي نهبا " (٣)
وكذلك.. فان حربه لمعاوية وحزبه لم تكن إلا من منطلق رسالي، ومن أجل الحفاظ على دين الله، فهو الذي يقول " لقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه، وقلبت ظهره و

---

(١) الطبقات الكبرى ج ٣ قسم ١ ص ١٩ / ٢٠
(٢) الطبقات الكبرى ج ١ قسم ٢ ص ١٦٥, ولعل اسقاط عثمان له في بئر آريس حسبما روى في كتب الآخرين قد افتعل من أجل أن لا يصل الخاتم إلى علي، ولا يكون له نصيب من التختم بخاتم رسول الله صلى الله عليه وآله.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية.

بطنه، فلم أرى إلا القتال أو الكفر.. الخ " (١) كما أن قبوله للتحكيم الذي أجبره عليه الأعراب الجفاة، وأصحاب الأهواء، لم يكن إلا من أجل هذا الدين، والحفاظ على الرسالة التي جاء بها محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهو بذلك يذكر أولئك الجهلة والمغرورين بما كان قد جرى للنبي صلى الله عليه وآله في صلح الحديبية، حينما محا كلمة " رسول الله " بإصرار من ممثل المشركين، فلا غرو إن جرى لأمير المؤمنين مع البغاة عليه نفس ما كان قد جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله مع أعدائه...

دال: وإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يرى: كيف أن الناس قد ركنوا إلى الدنيا، وراقهم زخرفها، واتبعوا أهوائهم، ولم يعد للدين وللإسلام في حسابهم أي اعتبار أو دور يذكر، الأمر الذي يعبر عن ضعف إيمانهم بالله، وعن عظيم جهلهم، وضعف يقينهم، فان أمير المؤمنين عليه السلام يعبر عن ذلك بما كتبه على خاتمه، وهو: " علي يؤمن بالله " (٢)

---

(١) نهج البلاغة بشرح عبده ج ١ ص ٩٠ ط مطبعة الاستقامة بمصر.

(٢) دعائم الاسلام ج ٢ ص ١٦٥.

وإذا كان من يرون أنفسهم أصبحوا يملكون القدرة والقوة، وتهيأت لهم أسباب المنعة يسيؤن استعمال هذه القدرة ويضعونها في غير مواضعها.. مع أنها ليست قدرة حقيقية لهم، وذا كان الله سبحانه هو القاهر والقادر الحقيقي الذي يعمل قدرته هذه في ما هو خير ومصلحة للناس فإنه (ع) يشير إلى ذلك بما نقشه على خاتمه أيضا وهو: " نعم القادر الله ". (١)

هاء: كما أنه وهو الذي واجهته المصائب والمصاعب، ونزلت به النوازل ولا يجد معينا ولا ناصرا غير الله سبحانه، فان نقش خاتمه يكون " حسبي الله " (٢).

واو: وحينما يصبح مستهدفا من قبل أعدائه نجده يشير إلى أنه لا يعتمد على قدرته الشخصية، وانما يعتمد على الله وعلى الله فقط، ويكون نقش خاتمه: " أسندت ظهري إلى الله " (٣)

---

(١) مكارم الاخلاق ص ٩١ وعيون الاخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٣٠٢.
(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١١٥.
(٣) المصدر السابق.

زاي: وأخيرا... فقد جاء أن نقش خاتمه العقيق قد كان ثلاثة أسطر: " ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، استغفر الله " (١)
وفي حديث آخر: " انه كان له خاتم من جوهر الحديد الصيني الأبيض الصافي، وعليه منقوش هذه الأسطر على سبعة أسطر، وكان يلبسه عند الشدائد: أعددت لكل هول لا اله إلا الله ولكل كرب لا حول ولا قوة إلا بالله، ولكل مصيبة نازلة حسبي الله، ولكل ذنب وكبيرة استغفر الله، ولكل هم وغم فادح: ما شاء الله، ولكل نعمة متجددة الحمد لله ما بعلي بن أبي طالب من نعم فمن الله " (٢)
٤ - الإمام الحسن عليه السلام

---

(١) علل الشرائع ص ١٥٧ والخصال ج ١ ص ١٩٩ والبحار ج ٤٢ ص ٦٨ والوسائل ج ٣ ص ٣٠٥ عن الأولين
(٢) مكارم الاخلاق ص ٩١

ألف: أما الإمام الحسن عليه السلام.. فقد كان يعاني من ظروف قاهرة وقاسية، من أهمها: جهل الأمة بحقيقة ما يراد بها، وبالمصير الذي تساق إليه على أيدي حكامها. وأصحاب النفوذ فيها، وحتى مال الناس إلى دنيا معاوية وتركوا نصرة الحق، وجرى ما جرى بين الأمام الحسن عليه السلام، وبين معاوية والأمويين.. ويا ليت الأمور كانت قد وقفت عند هذا الحد، وكفى. وانما تجاوزت ذلك إلى ما هو أعظم وأدهى، حتى لنجد الطليعة المؤمنة، والعارفة بالحق، والتي يفترض فيها أن تملك قدرا أكبر من الوعي.. هذه الطليعة لا تستطيع التفاعل مع الأحداث، ولا تقييمها تقييما موضوعيا سليما، حتى أنهم ليعتبرون صلح الإمام الحسن لمعاوية، والذي لم يكن منه عليه السلام إلا من أجل الحفاظ عليهم وعلى الإسلام كله.. ولولا ذلك لم يبق من الإسلام حتى اسمه ولا من الدين حتى رسمه، وقد ساهم في فضح الأمويين وتعريتهم إلى حد بعيد (١) انه حتى هؤلاء يعتبرون هذا الصلح بالذات

---

(١) راجع كتابنا الحياة السياسية للامام الحسن عليه السلام القسم الأول, الفصل الثاني

أمرا شائنا ومعيبا، حتى يواجهونه بالكلمة القاسية والجارحة والمرة " يا مذل المؤمنين ".

فالإمام الحسن عليه السلام في ظروف كهذه يعيش أعظم مصيبة، ويعاني أشد الآلام.. وإذن.. فمن الطبيعي أن يكون نقش خاتمه عليه السلام هو: " حسبي الله (١) فهو المعين، وهو الناصر، وهو المهيمن والقاهر، وكل من عداه لا يصح أن يقدم أي عزاء ولا يستطيع الاعتماد عليه في أية نازلة أو بلاء.

باء: وإذا كانت الخلافة قد أصبحت ملكا قيصريا، ويعتبر معاوية نفسه - أنه أول الملوك (٢) وإذا كان المال قد فاض في أيدي الناس والحكام وغرتهم المناصب والولايات، وإذا كان هذا الإنسان الذي كان إلى الأمس القريب لا يعد شيئا مذكورا، ويعاني من أحط أنواع الذل والضعة والمهانة قد أصبح الآن يحكم الأقطار، ويثل العروش، ويستولي على البلاد والعباد، وإذا كان لم يكن ثمة لدى الناس مناعات ولا قناعات كافية بالمعاني الإسلامية

---

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ والوسائل ج ٣ ص ٤٠٨

(٢) راجع كتابنا الحياة السياسية للامام الحسن

والإنسانية السامية.. إذا كان كذلك، فان من الطبيعي أن يشمخوا بآنافهم، وينظروا باعطافهم، وان تأخذهم العزة وتسيطر عليهم مشاعر العظمة والخيلاء بهذا المجد الطريف، بعد ذلك الذل والخنوع التالد، ولا سيما بعد أن تمكنوا - حسب تصورهم - من إزاحة أهل البيت عليهم السلام عن الساحة، وابعادهم عنها، الأمر الذي يعتبرونه تتويجا لغاية آمالهم، ووصولا إلى منتهى رغائبهم...

إذا كان كذلك.. فان من الطبيعي: إن نجد الإمام الحسن عليه الصلاة والسلام يسجل موقفا حاسما في هذا المجال، ويقاوم هذه الظاهرة بأساليب شتى، وطرق متنوعة، فيختتم بخاتم منقوش عليه: " لا اله إلا الله الملك الحق المبين " (١)

نعم.. أن الله هو الملك الحق المبين. وملك سواه إن لم يكن هو المصدر، فإنما هو ملك زائف وباطل... كما أن الله هو المبين والمظهر لكل زيف وخطل وانحراف مهما جهد الغاصبون والظالمون في التستر على واقعهم، واخفاء

---

(١) مختصر التاريخ لابن الكازروني ص ٨٠ ومآثر الإنافة ج ١ ص ١٠٦

حقيقتهم وراء الأقنعة الصفراء الزائفة... ويلاحظ أن هذا هو نفس النقش الذي كان على واحد من خواتيم أبيه عليه السلام. (١)
وهناك أيضا: ما سجله نقشا على الخاتم الآخر الذي كان يتختم به وهو قوله: " العزة لله (٢) أو " العزة لله وحده " (٣)
نعم.. إن العزة لله، ولله فقط، لا لسواه من كل بني الإنسان.. وبعد هذا فان من الطبيعي أن يتحمل الإنسان في سبيل دينه ومبدئه الكثير من الآلام، والكثير من المتاعب والمشقات ولا بد من الصبر على بعض الكلمات الجارحة، التي كانت توجه إليه حتى ليعتبر مذلا للمؤمنين، مع أنه مطمئن إلى أن كل حركة تحركها، وكل موقف وقفه لم يكن إلا من أجل الحفاظ عليهم، و في سبيل حياتهم وسعادتهم.. ولو بقيمة تحمل وضع استثنائي يرى فيه الناس الذل والهوان، ويرى فبه هو منتهى الشموخ

---

(١) لا بأس بمراجعة المصدر السابق في هذا المجال أيضا
(٢) راجع مصادر الحديث المتقدم الجامع عن الرضا عليه السلام والبحار ج ٤٣ ص ٢٤٢ / ٢٥٨ والكافي ج ٦ ص ٤٧٢
(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٣٧

والعزة لأنه عمل جاء على وفق التكليف الشرعي، وعلى طبق الوظيفة الإلهية.
جيم: ونجد نصا آخر لما نقش على الخاتم الذي كان يلبسه عليه الصلاة و السلام، وهو: " الله أكبر وبه استعين (١)
نعم.. الله أكبر من كل كبير، وأعظم من كل عظيم، و أعز من كل عزيز، الله أكبر وهو المستعان على مواجهة بغي الباغين، وجبروت الجبارين...
دال: وأما تختمه عليه السلام بالخاتم المنقوش عليه: " الحمد لله (٢) فهو حمد لله على نعمائه، وشكر له على آلائه؛ فما بهم من نعمة فمن الله وهم قد " رضي الله عنهم ورضوا عنه " فلا يرون في أعظم المحن وأشد الأهوال إلا أنها مصدر أنس وراحة لهم، إذا كانت في سبيل الله، ولمحض رضاه سبحانه.
٥ - الإمام الحسين عليه السلام:

---

(١) عنوان المعارف ص ١٥ ومختصر التاريخ لابن الكازروني ص ٨٠ وفيه " استعنت " بدل استعين.
(٢) البحار ج ٤٣ ص ٢٥٨ عن الكافي

ألف: وإذا كانت ظروف الحسنين في حياتهما السياسية متشابهة في كثير من فصولها؛ لأنهما لابد وأن يقوما بواجبهما و يتحملا مسؤلياتهما الجسام في برهة زمنية متقاربة في تحولاتها وتقلباتها وظروفها.
فان من الطبيعي أن يكون ثمة تشابه في نقش بعض الخواتيم التي كانا يتختمان بها..
فعن أبي عبد الله، عليه السلام: " كان في خاتم الحسن والحسين: " الحمد لله " (١)
وعنه عليه السلام: " وفي خاتم الحسن والحسين " حسبي الله "، وفي خاتم أمير المؤمنين: " الله الملك " (٢)
وروى البيهقي وغيره عنه عليه السلام: أنه كان في خاتم حسن وحسين: " ذكر الله تعالى " (٣)
نعم... انه إذا كان كل منهما قد خذله أصحابه، وكل منهما يلجأ إلى الله والى الله وحده، والله هو حسبه

---

(١) المصدر السابق
(٢) سنن البيهقي ج ٤ ص ١٤٣ وتاريخ جرجان ص ٤١٨
(٣) راجع مصادر الحديث الجامع الأول المتقدم عن الرضا عليه السلام والبحار ج ٤٦ ص ٦ / ٧ و ج ٤٣ ص ٢٤٢ و ٢٥٨ و ٢٤٧ وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٧ وأمالي الصدوق ١٢٨

فان من الطبيعي أيضا أن يتشابه نقش خاتميهما هنا كذلك، ويكون للإمام الحسين علية السلام كما للإمام الحسن علية الصلاة والسلام خاتم منقوش عليه " حسبي الله " وكذا الحال في كلمة: " الحمد لله "، حسبما قدمناه قبل قليل.

باء: والإمام الحسين الذي يواجه خذلان الأمة التي ثار من أجلها، وفي سبيل حياتها وكرامتها ودينها، فان هذا الخذلان سوف لا يفت في عضده شيئا، ما دام أن الله حسبه، حتى ولو كان ذلك سوف ينتهي باستشهاده مع ثلة من أهل بيته وأصحابه، ذلك هو الطريق الأمثل، الذي يحفظ هذا الدين من تحريفات المبطلين، وشبهات الغاوين، فان تلك هي مشيئة الله، وذلك هو أمره، فما عليه لو قام بواجبه، وأدى وظيفته؟ وليكن نقش خاتمه عليه السلام منسجما مع ذلك كله، وهو: " إن الله بالغ أمره ". (١)

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ٢٤٧ و ٢٤٨ وأمالي الصدوق ١١٦ وراجع ١٢٨ وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٧

جيم: وكان له عليه (ع) خاتم آخر قد نقش عليه ما يعبر عن استعداده للقاء الله سبحانه، واعداده العدة لذلك، وهو قوله: " لا اله إلا الله عدة للقاء الله " (١) وهكذا ترتبط الحركة بالمبدأ، وبالغاية والمنتهى ارتباطا عقائديا، راسخا وعميقا، فالله هو المبدأ، وهو الغاية، ومعه سيكون اللقاء في يوم البقاء.

" يا أيها الإنسان انك كادحا إلى ربك كدحا فملاقيه " (٢) وفي نص آخر " إن نقش خاتمه عليه السلام كان: " لكل أجل كتاب " (٣)

٦ - الإمام السجاد عليه السلام:

ألف: والإمام السجاد الذي عاش أجواء كربلاء، وصلى نار مآسيها وآلامها، وتستمر الظروف القاسية بفرض هيمنتها وآثارها، نرى أنه يذكر بتلك المآسي،

---

(١) المصدر السابق

(٢) سورة الانشقاق

(٣) نور الابصار ص ١٢٦ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٥٧

حيث انه كان يتختم بخاتم أبيها الذي كان نقشه: " إن الله بالغ أمره " (١) و اعتزازا منه بأداء الوظيفة الشرعية والتكليف الإلهي، وإشارة صريحة منه إلى انه هو أيضا يسير على نفس الخط، ويسلك نفس الطريق.. كما انه كان يتختم بخاتم أبيه الحسين عليه السلام المنقوش عليه: " لا اله إلا الله عدة للقاء الله " (٢)

باء: وإذا كان لا بد له من العمل الدائب والجاد من أجل أن تؤتى المسيرة الجهادية التي بدأها أبوه سيد الشهداء ثمارها، وإذا كان هو الذي يتحمل مسؤولية حفظ تلك الدماء الزكية، وتأثيرها الأثر الإيجابي المنشود في روح الأمة، وفي ضميرها ووجدانها.. فإنه لا يكتفي بالبكاء على ذلك الشهيد الزكي، وانما ينقش على خاتمه الإشادة بذلك الموقف الخالد، الذي لا يساوم ولا يهادن على حساب الدين والحق، ويسجل إدانته الصريحة لموقف الخزي والعار لكل أعدائهم وخصومهم أعداء الله والإنسان، ولتلك الجريمة النكراء ليبقى صداها الهادر خالدا و أبديا، يتردد

---

(١) راجع مصادر الحديث الجامع عن الرضا عليه السلام

(٢) امالي الصدوق ١٢٦ والبحار ٤٣ ص ٢٤٧ و ٢٤٨ وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٧.

عبر الأجيال يصم آذان كل الطغاة و الجبارين، ويتحدى كل الجناة والبغاة.
نعم... انه ينقش على خاتمه: " خزي وشقي، قاتل الحسين بن علي (١) عليه السلام.
جيم: و بعد ذلك.. فإنه إذا كان الطغيان الأموي البغيض لا يزال يمتد و يمتد، ويتعالى ويشتد، حتى ليخيل إليهم: أنهم - بقتلهم الحسين عليه السلام - قد حققوا أعز أمنياتهم وأغلاها، وبلغوا الغاية، أوفوا على النهاية، بالقضاء حسب تصورهم على أقوى خصومهم. وهو أهل البيت عليهم السلام قضاء تاما و نهائيا، ويرون أنهم قد بلغوا الذروة، وحصلوا على أعلى درجات العزة والمجد.. كما تصور معاوية من قبل، حينما صالح الإمام الحسن عليه السلام.... فإننا نراه عليه السلام يتختم بخاتم منقوش عليه نفس العبارة التي كانت على خاتم عمه الإمام الحسن عليه السلام، وهي: " العزة لله " (٢)

---

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ وعيون اخبار الرضا ج ٢ ص ٥٦ وأمالي الصدوق ص ١١٦ والوسائل ج ٣ ص ٤١٠ والبحار ج ٣ ص ٢٤٧ و ج ٤٦ ص ٥ ومسند الإمام الرضا ج ٢ ص ٣٦٥.
(٢) قرب الاسناد ص ٣١ والبحار ٤٦ ص ٧ و ج ٤٢ ص ٦٨.

دال: وإذا كان الإمام السجاد يأخذ على عاتقه مهمة أحياء الدين في ظروف هي من أصعب الظروف وأشدها وأقساها ولا سيما.. وأن الناس بعد استشهاد أبيه ولأسباب مختلفة بيناها في مقالنا الإمام السجاد وباعث الإسلام من جديد (١) قد تركوا أهل البيت، وانصرفوا عنهم، حتى لم يعد أحد يعترف بإمامة السجاد سوى ثلاثة أشخاص. (٢)

إذا كان كذلك.. فان الإمام السجاد لابد وأن يبدأ مرحلة جهادية جديدة زاخرة بالمتاعب والأخطار، وتحتاج لمزيد من العمل والمتابعة، ومزيد من الجهد المضني، والتسديد الإلهي، فنجد نقش خاتمه عليه السلام " وما توفيقي إلا بالله ". (٣)

هاء: ويوفقه الله سبحانه في جهاده الكبير ذاك، ويهيئ الأرضية المناسبة التي هيأت لنشوء مدرسة الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام بعده. وكل علو وعتو

---

(١) راجع كتابنا دراسات وبحوث في التاريخ و الإسلام ج ١.
(٢) راجع الكشي ص ١٢٣ و ص ١١٥ وغيره..
(٣) نور الابصار ص ١٣٩ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٨٧

الأمويين وأعوانهم لم يكن ليتمكن من أن يعيق المسيرة، أو يمنع من القيام بالواجب، فالله هو العلي، وهو المستحق للحمد على توفيقاته ونعمه ويأتي نقش الخاتم الآخر ليقول: " الحمد لله العلي العظيم " (١)
واو: ويعيش عليه السلام في زمن يسيطر عليه الجهل بالتعاليم الإلهية، حتى إن كثيرا من الهاشميين - فضلا عن غيرهم - ما كانوا يعرفون كيف يصلون، ولا كيف يحجون (٢) فيكون نقش خاتمه: " علمت فاعمل ". (٣)
٧ - الإمام الباقر عليه الصلاة والسلام:
ونجد تشابها في بعض مراحل وظروف حياة الإمام الباقر عليه السلام مع حياة وظروف الإمام الحسن عليه السلام، ثم الإمام الحسين ثم والده الإمام السجاد عليهم السلام.
ويشير إلى هذا التشابه: إننا نجد الإمام السجاد عليه السلام يقول للقاسم: " إياك أن تشد راحلة ترحلها

---

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ والبحار ج ٤٦ ص ٥
(٢) كشف القناع عن حجية الإجماع ص ٦٧
(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٣٠٢

هنا لطلب العلم، حتى يمضي لكم بعد موتي سبع حجج " (١) وإذن فمن الطبيعي أن يلبس عليه السلام خاتما يكون نقشه هو نفس نقش خاتم الإمام الحسن عليه السلام، وآخر يكون نقشه نفس نقش خاتم الإمام الحسين وولده السجاد عليهما السلام.. ولم يكن تختمه عليه السلام بخاتم جده الحسين عليه السلام المنقوش عليه: " إن الله بالغ أمره " (٢) إلا لأنه قد كان ثمة حاجة مستمرة لتذكير الأمة والتركيز التام على موقع أهل البيت عليهم السلام من الإسلام، ثم الإشارة بالموقف الرسالي الرائد للإمام الحسين (ع) والتذكير بالجريمة النكراء التي ارتكبها الأمويين في حقه وحق أهل بيته وأصحابه، مع الإلماح إلى أن ثمة إصرارا على مواصلة المسيرة وبعث هذا الدين الذي أريد دفنه مع مزيد من الثقة بألطاف الله وبعنايته، ومزيد من التفاؤل فيما يرتبط بهذه الانطلاقة الجديدة، " إن الله

---

(١) كشف القناع عن حجية الاجماع ص ٦٦

(٢) راجع مصادر الحديث الجامع المتقدم عن الإمام الرضا عليه السلام بالإضافة إلى: البحار ج ٤٦ ص ٢٢١ وحياة الإمام الباقر للقرشي ج ١ ص ٢٨, وعن أعيان الشيعة ج ١ ص ١٦٩ وعن الكافي وغيره

بالغ أمره "، " ومتم نوره " ومدخر نصره لعباده الأبرار مهما قست الظروف، ومهما جهد أعداء الله والإنسانية، ومهما بلغ معه ظلمهم وتجبرهم فان كل ذلك ليس إلا " كسراب بقيعة ".

ولم تكن ثورة الحسين عليه السلام إلا تلك الانطلاقة الرائدة والخطوة الأولى على طريق تحقيق الأهداف الإلهية فان الله بالغ أمره.

إن كان دين محمد لم يستقم
إلا بقتلي يا سيوف خذيني...

وهذا بالذات ما يفسر لنا أيضا تختمه بخاتم منقوش عليه:

ظني بالله حسن وبالنبي المؤتمن (١)
وبالوصي ذي المنن وبالحسين، والحسن (ع)

---

(١) راجع كشف الغمة ج ٢ ص ٣٢٢ ونور الابصار ص ١٤٣ كلاهما عن تفسير الثعلبي, والبحار ج ٤٦ ص ٢٢١ وعن عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٧ ومكارم الاخلاق ص ٩٢ ومسند الامام الرضا ج ٢ ص ٣٦٤ و ٣٦٨ والوسائل ج ٣ ص ٤١١ وعن مطالب السؤول ص ٨٠

مع تضمن ذلك تحديا سياسيا وعقائديا خطيرا بالنص على أن الإمامة والوصاية لأمير المؤمنين عليه السلام الأمر الذي يعطي أن كل من عداه ممن تصدى ويتصدى لقيادة الأمة، فإنما هو متعد وغاصب، لا مبرر لتصديه لما يتصدى له على الإطلاق هذا كله.. عدا عن انه كان يتختم بخاتم الإمام الحسين عليه السلام الذي نقشه: " لا اله إلا الله عدة للقاء الله " (١) وهو خاتم سائر الأئمة عليهم السلام قبله..

وبعد ذلك، فان الإمام الباقر عليه السلام يعاصر جبابرة الأمويين الذين يفتحون البلاد، ويذلون العباد، ويرون أن أهل البيت عليهم السلام قد انتهى أمرهم، وخضدت شكوتهم بزعمهم، ويرون أنفسهم قد وصلوا إلى منتهى درجات المجد والعظمة، ونالوا بزعمهم كل ما يمكن أن ينال من مظاهر العزة والشوكة والقوة.

---

(١) أمالي الصدوق ص ١٢٨ والبحار ج ٤٣ ص ٢٤٧ / ٢٤٨ وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٧

فمن الطبيعي أن يسجل في مقابل ذلك، ذلك الشعار الذي يدين ذلك الفكر المنحرف، ويزلزل كل تلك المفاهيم ويهزها من الأعماق.
فنجد نقش خاتمه (ع) تارة هو نقش خاتم الإمام الحسن عليه السلام من ذي قبل وهو: " العزة لله " (١) وأخرى نجده يضيف إليه ولعله خاتم آخر له - كلمة لها دلالتها الهامة في مقابل جباري الأمويين، فسار نقش الخاتم: " العزة لله جميعا " (٢) فليتأمل في كلمة " جميعا " في ظروف وأجواء كهذه.
وثالثة يكون نقش خاتمه عليه السلام: " القوة لله جميعا " (٣)
وإذا كان لا بد من مواصلة المسيرة بمزيد من الإصرار، وبمزيد من الثقة بنصر الله سبحانه، مهما كانت

---

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ والبحار ٤٦ ص ٢٢٢ / ٢٢٣ والوسائل ج ٣ ص ٤٠٨ / ٤٠٩ ومكارم الأخلاق ص ٨٩
(٢) التهذيب للشيخ الطوسي ج ١ ص ٣٢ والاستبصار ج ١ ص ٤٨ وقرب الاسناد ص ٧٢ والبحار ج ٤٦ ص ٢٢٣ والوسائل ج ١ ص ٢٣٤ وسنن البيهقي ج ٤ ص ١٤٣
(٣) حلية الأولياء ج ٣ ص ١٨٦ وتاريخ جرجان ص ٤١٩ وهامش البحار ج ٤٦ ص ٤٢٣ ويحتمل أن يكون كلمة " القوة " تصحيف كلمة: " العزة " لتقاربها في الرسم، فلا يبقى فرق بينه وبين سابقه.

الظروف ومهما عظمت التحديات.. وإذا كان لا بد له من معين ونصير على ذلك.. فإننا نجده عليه السلام يتختم بخاتم آخر يكون نقشه: " رب لا تذرني فردا ". (١)

الإمام الصادق عليه السلام:

لقد عاش الإمام الصادق عليه السلام في عهد ضعف الأمويين نسبيا، وانشغالهم بحروب الخوارج وغيرهم: تلك الحروب هدتهم، وزعزعت الثابت من أركان حكمهم..

وعايش أيضا انطلاقة الدعوة العباسية التي استطاعت ثل العرش الأموي، وتحطيمه نهائيا، حيث تربع العباسيون على سدة الحكم والسلطان، واخذوا في تثبيت قواعد حكمهم وتدعيمها بكل ما يقدرون عليه.. ثم لما اشتد ساعدهم، وقويت شوكتهم عدوا على أبناء عمهم أئمة أهل البيت عليهم السلام - وشيعتهم يوسعونهم قتلا وعسفا وتشريدا، لأنهم رأوا فيهم خطرا يتهدد وجودهم في الحكم، وفعالية هذا الوجود فيه.

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٩٧ ونور الابصار ص ١٤٣

وبعد هذا.. فان توضيح نقوش الخواتيم المختلفة التي كان يتختم بها الإمام الصادق عليه السلام في الأحوال المختلفة، يمكن أن يكون على النحو التالي:

ألف: أنه إذا كان الإمام الصادق عليه السلام قد عاصر فترة ضعف الأمويين، وأفول نجمهم، وفترة نشوء الدولة العباسية، التي كانت لا تزال في بداياتها تعاني من الضعف والاهتزاز أيضا.. فأولئك كانوا قد ضعفوا، وهؤلاء لم يقووا بعد - إذا كان كذلك - فإننا نلاحظ: أنه عليه السلام لا يتختم بعد بذلك الخاتم الذي نقشه " العزة لله " أو " العزة لله جميعا ".

وانما نجده يهتم في الاستمرار بالتذكير بجريمة الأمويين النكراء، بحق خامس أصحاب الكساء؛ لإعطاء المثل الحي للأمة كل الأمة. وبأنه إذا كان الحاكم لا يرجع إلى دين ولا ينتهي إلى وجدان، فإنه يكون أشرس المخلوقات وأخزاها ويكون على استعداد للإقدام على كل جريمة، وارتكاب كل عظيمة في سبيل أغراضه الشخصية، ومآربه وغاياته اللا إنسانية.. وان الأمة، كل الأمة لتتحمل

وزر السماح لأمثال هؤلاء بالتحكم بمقدراتها، والتسلط على الأمور فيها.. نعم.. ولعل ذلك هو بعض ما يرمي إليه عليه السلام من تختمه بخاتم جده الإمام الحسين عليه السلام المنقوش عليه: " لا اله إلا الله عدة للقاء الله " (١) وأما لماذا لم يتختم بخاتمه الآخر، المنقوش عليه: " ان الله بالغ أمره "؛ فلعله من أجل الأوضاع السياسية المتقلبة التي تعاني منها الأمة تحتاج للمزيد من الربط بالله، والتأكد على وحدانيته سبحانه.. من أجل أن يفهم الناس أن هذا التوحيد الخالص هو الذي من شأنه أن يهب الموقف الصحيح والسليم، الذي من شأنه أن يهب الحياة الحقيقية للناس كل الناس.. وما داموا مبتعدين عن هذا المعنى، فان عليهم أن يتحملوا مرارة الانحراف الذي يساهمون هم أنفسهم، ان لم يكن في إيجاده، ففي قوته واستمراره على الأقل.

وبعد كل ذلك.. فان تحولات الأمور بالنسبة للحكم الأموي في حروبه مع الخوارج وغيرهم.. ثم رفع العباسيين شعارات الأخذ بثارات العلويين، والدعوة للرضا

---

(١) أمالي الصدوق ص ١١٦ وراجع ص ١٢٨ والبحار ج ٤٣ ص ٢٤٧ / ٢٤٨ وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٧

من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ودراسة الأمور دراسة موضوعية ليعطي: أن الأمور تتجه، إلى تغيرات عميقة، وتحولات هامة، على الصعيد السياسي، والفكري والاجتماعي، وغير ذلك.. ولكنها على أي حال لم تكن لصالح أهل البيت الذين يمثلون القيادة الإلهية الحقيقية والواعية للأمة.. وان توهم الكثيرون ذلك.. وان هذا الاتجاه الظاهري من قبل الناس نحو أهل البيت عليهم السلام لا يمكن أن يمثل قوة يصح الاعتماد عليها للقيام بحركة تستهدف تصحيح الأوضاع جذريا، لصالح الدين والأمة، لأنها لم تكن ناشئة عن وعي عقائدي مركز، وإنما كانت عواطف صادقة أحيانا وغير صادقة أحيانا أخرى؛ لاستنادها إلى خلفيات ذات طابع شخصي أو قبلي، أو غير ذلك، فهي إذن لا تقوى على مواجهة التحدي المبدئي والعقيدي، إن لم نقل: انها سوف ترتد لمواجهة التحدي بمثله، ولتجهض من ثم كل الجهود، ويذوي الأمل، وتجف المنى.

وإذن: فان هذه القوة الظاهرية ليست هي القوة التي يمكنهم الاعتماد عليها، والاستناد إليها.. لأنها ليست مستندة إلى الله سبحانه، ومن الواضح انه: " لا قوة إلا بالله ".
وإذا كانت ظروف كهذه زاخرة بالمغريات، غنية بما يذكى الطموح للدخول في حمأة السياسة، ولا سيما مع وجود كثير من العروض السياسية – من قبل دعاة العباسيين، واغراء اتهم – التي لم تكن إلا لأسباب قاهرة فرضت نفسها عليهم، كما أوضحنا في كتابنا: " الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام " إذا كان كذلك، فان من الطبيعي أن يكبح الانسان جماح طموحاته هذه التي سوف لن تنتهي آلي ما ينفع الإسلام والإنسان، يكبحها بطلب المغفرة من الله، ومن الله وحده سبحانه..
وبعد ذلك كله، فإننا ندرك بعمق مغزى كون نقش خاتمه عليه الصلاة والسلام العبارات الثلاث التالية: " ما

شاء الله، لا قوة إلا بالله، استغفر الله " (١) وكذا نقش الخاتم الآخر على الظاهر: " الله خالق كل شئ " (٢)
وبعد ذلك.. فإنه إذا كان الإمام الصادق لابد له من مواصلة المسيرة، وتحمل أعباء نشر الإسلام، وتعاليم الناس الأحكام، والآن وقد سنحت له الفرصة أكثر من غيره من الأئمة، وذلك بسبب ضعف الدولتين اللتين عاصرهما لسنوات عديدة وهي فترة الأفول والنشوء، فإنه يدعو الله سبحانه، الذي هو ثقته وملجأه في المهمات: أن يسهل له هذه المهمة، وان يقيه شر الأعداء، فيكون نقش خاتمه: " رب يسر لي، أنت ثقتي، فقني شر خلقك " (٣)
وإذا كان لابد من رفض ولاية الطاغوت، والالتزام فقط بولاية الله سبحانه وتعالى، وإذا كان العباسيون بعد أن وصلوا إلى الحكم، وقضوا على الأمويين، وأحكموا أمورهم، وثبتوا قواعد ملكهم قد تفرغوا لأبناء عمهم آل علي ولشيعتهم، ويتعرض حتى الإمام الصادق عليه السلام،

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٠٩ وكشف الغمة للأربلي ج ٢ ص ٣٧٠ ونور الابصار ص ١٤٥ والبحار ج ٤٧ ص ١٠
(٢) الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ والوسائل ج ٣ ص ٤٠٨ والبحار ج ٤٧ ص ١٠ عن مصباح الكفعمي ص ٥٢٢
(٣) دعائم الاسلام ج ٢ ص ١٦٥

لكثير من المضايقات والتهديدات والمحاولات الجادة من قبل المنصور العباسي لتصفيته حتى جسديا – وهو ما نجح به أخيرا – فإننا نجد نقش خاتمه عليه السلام منسجما مع ذلك كله.. فيكون: " الله وليي، وهو عصمتي من خلقه " (١)
وفي بعض النصوص: " اللهم أنت ثقتي، فقني شر خلقك " أو ما بمعناه ". (٢)
الإمام الكاظم عليه السلام:
الف: ولقد عاش الإمام الكاظم عليه السلام في فترة شعور العباسيين باستقرار ملكهم وثبات سلطانهم، هذا الشعور الذي بدأ بالتبلور في النصف الثاني من خلافة المنصور، أي بعد قضائه على حركة بني الحسن، ونقله عاصمة الخلافة إلى مدينة بغداد، وغير ذلك من إجراءات،

---

(١) راجع مصادر الحديث الجامع المتقدم عن الامام الرضا عليه السلام في أوائل هذا البحث, بالإضافة إلى البحار ج ٤٧ ص ٨
(٢) البحار ج ٤٧ ص ١٠ / ١١ عن العدد وغيره ومكارم الاخلاق ص ٨٩ / ٩١ والكافي ج ٦ ص ٤٧٣ والوسائل ج ٣ ص ٤١٠ ومسند الامام الرضا ج ٢ ص ٣٦٣ وتاريخ جرجان ص ٤١٨ / ٤١٩

جعلته يطمئن نسبيا إلى مستقبل العباسيين في الحكم ثم أكمل ولده المهدي المهمة التي كان بدأها أبوه وهي القضاء على خصوم الحكم تحت شعار الاتهام بالزندقة، وغير ذلك من شعارات. ويتمكن الهادي أيضا من إخماد ثورة الحسين بن علي صاحب فخ رضوان الله تعالى عليه.. إلى غير ذلك من أمور لا مجال لتتبعها الآن.

فما أشبه الحالة والظرف الآن بتلك الحالة والظرف الذي مر به أمير المؤمنين عليه السلام في فترة عاشها مع الحكم الجديد، بعد وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، حيث اتخذ ذلك الحكم الناشئ من الإجراءات ما جعله يطمئن إلى ثباته واستقراره، ولعل الظروف التي مر بها أمير المؤمنين عليه السلام ابان نشوء حكم الأمويين وتمكنهم نسبيا من الأمر.. لا تختلف عن ذلك كثيرا أيضا.

ولعل ذلك كله يفسر لنا سر تختم الإمام الكاظم عليه الصلاة والسلام بخاتم جده أمير المؤمنين عليه السلام المنقوش عليه عبارة: " الملك لله " أو " الله الملك " (١)

باء: ثم تأتي خلافة الرشيد العباسي، الذي كان يستلقي على قفاه وينظر إلى السحابة الحاملة للمطر، ويقول: " اذهبي إلى حيث شئت يأتيني خراجك ". (١)
وهي كلمة تعبر عن مزيد من الاعتزاز بسعة الملك والسلطان.. ومعه المزيد من مظاهر الترف والبذخ، وحياة النعيم والراحة... والاطمئنان إلى المستقبل، ولا شك في أن هذا الشعور كان قد بلغ أوجه، حينما استطاع الحكم أن يحد من فاعلية ونشاط أهل البيت عليهم السلام، بما اتخذه من إجراءات قمعية ضدهم وضد سيدهم وعظيمهم الإمام الكاظم عليه السلام.
فنجد الإمام الكاظم عليه السلام في مجال مواجهة ذلك الشعور، ومقاومته وترسيم الخط الصحيح والسليم للأمة لا يألو جهدا ولا يدخر وسعا، ونراه يعبر عن رأيه وعن موقفه، بإطلاق الشعار الواقعي والصحيح في كل فرصة، وكل مناسبة.. ثم يكون نقش خاتمه عليه السلام

هو نفس النقش السابق بزيادة كلمة واحدة، ليصير: " الملك لله وحده ". (١)
جيم: ويواجه عليه السلام هو وشيعته طغيان العباسيين وبغيهم، ويقضي السنوات الطوال في غياهب السجون ويتحمل المزيد من المصائب والآلام منهم حتى ينتهي الأمر باستشهاده عليه السلام، بتصميم وبأمر منهم على أيدي جلاد يهم الأشرار..
كما انه عليه السلام يجد الناس أما منصرفين عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، أو أن موقفهم يتسم بالضعف واللامبالاة وبالخنوع والخضوع لحكام الجور، والاطمئنان للحياة الدنيا، ويروقهم زخرفها وزبرجها، ولا يعيشون القضايا المصيرية الحساسة، التي هي قضاياهم الحقيقية، وقضايا الدين والأمة، فإننا نجد خاتمه عليه السلام هو: " حسبي الله " وفيه وردة وهلال في أعلاه. (٢)

ولعل الوردة تشير إلى التفتح الثقافي، الذي بدأ يظهر في قطاعات واسعة من الأمة، ويحمل النشر الطيب للمعاني الإسلامية السامية...
أما الهلال، فلعله يشير إلى الأمل بولادة النور من جديد، وانبثاق تياره العارم على شكل دائري مستوعب في مسيرته التكاملية إلى أن يصير بدرا، حيث يبلغ الأربعة عشر، على عدد المعصومين الأربعة عشر، الذين آخرهم المهدي الموعود، " الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملأت ظلما وجورا " ويلاحظ هنا: أن أول من اتخذ الهلال شعارا هو النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فقد روى العسقلاني، في ترجمة سعد بن مالك بن الأزدي، قال: " قال ابن يونس: وفد على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وعقد له راية على قومه سوداء فيها هلال أبيض، وشهد فتح مصر الخ. (١) فدعوى البعض: أن العثمانيين قد أخذوا رسم صورة الهلال علامة رسمية من القياصرة.

وأصله من فيلبش والد الإسكندر المقدوني الأكبر، (١) دعوى غير صحيحة، ولا مقبولة...

الإمام الرضا عليه السلام:

الف: ولقد عاش الإمام الرضا عليه السلام منذ وفاة أبيه عليه السلام في ظروف مأساوية، لا تختلف كثيرا عن ظروف أبيه الإمام الكاظم عليه الصلاة والسلام. فهو قد عايش آلام أبيه، وتفاعل معها، وناله قسط كبير منها.

واختص هو عليه السلام بآلام ومتاعب جمة، لم تكن في مرارتها بأقل أثرا مما سبقها، ولأجل ذلك نجده عليه السلام يتختم بخاتم أبيه، الذي يشير إلى هذه الآلام، وتلك المتاعب وهو نفسه عليه السلام يعلن ذلك، ويلفت إليه فيقول: " كان نقش خاتم أبي: " حسبي الله وهو الذي كنت أتختم به " (٢)

باء: وقد بلغت هذه الآلام ذروتها في عهد المأمون العباسي، حتى لنجد الإمام الرضا عليه السلام، كان إذا رجع من الجمعة يدعو على نفسه بالموت، ليتخلص مما هو فيه. (١)

الأمر الذي يعطي: أن حياة الإمام عليه السلام مع المأمون إنما كانت حياة غربة، وألم ومرارة، يجد الموت أهون عليه من تحملها.. وان كانت الأحوال في ظواهرها الساذجة تشير إلى عكس ذلك للبسطاء والسذج من الناس

ونستطيع أن نشبه هذه الفترة من الزمن، من حيث وضعها وظواهرها السياسية بالفترة التي عاشها الإمام الصادق عليه السلام، وهو يعايش التحولات الخطيرة التي تتعرض لها الأمة، وسيكون لها تأثير هام وحاسم على مستقبلها بصورة عامة. وذلك لأن المأمون العباسي - حسبما أوضحناه في مجال آخر (٢) قد كان يعاني من ظروف شبيهة بظروف الأمويين في أواخر أيامهم.. حتى

ليجد نفسه مضطرا للاستعانة بغير العرب لمواجهة أخيه الأمين بالحرب الضروس، التي انتهت بقتله أخاه.. الأمر الذي نشأ عنه اضعاف مركز عموما، ثم وضع كثير من علامات الاستفهام على حقيقة نواياه وأهدافه.. كما انه من جهة أخرى يجد: أن التعاطف مع آل علي عليه السلام يزداد قوة واتساعا يوما بعد يوم.. إلى غير ذلك من عوامل ومعطيات جعلته بحاجة ماسة إلى البحث عن غطاء معنوي، يدعم به مركزه، ويحفظ بواسطته وجوده واستمراره في الحكم.

ومن جهة أخرى فإنه - إذا كانت الأجواء هي هذه.. وإذا كان التعاطف مع العلويين قد أصبح يبدو وكأنه يشكل تيارا عارما يمكن أن يزعزع الكثير من الثوابت، بحسب الظاهر. ويستطيع أن يحرك الساحة باتجاه آخر أكثر انسجاما مع الرغبات والميول، وإذا كانت المغريات تزداد كثرة وجذابية يوما بعد يوم، حتى ليخيل للإنسان: أن الفرصة مواتية لتحرك من نوع ما - لوجود القوة الكافية والصالحة للاعتماد عليها في انطلاقة الحركة

نحو التغيير الشامل، وفي استمر أريتها.. وإذا كانت الإغراءات والعروض، وحتى الضغوط المأمونية والاصرار عليه بالقبول بالخلافة تارة، وبولاية العهد أخرى قد بدأت تلوح في الأفق القريب...

وإذا كان الإمام يعلم حقيقة الأمر، ويدرك أن كل ذلك غير قابل للاعتماد عليه، وليس في المستوى الذي يؤهله لتحريك الساحة، وحماية استمرارية هذه الحركة، وأن عروض المأمون تلك، والتي بلغت درجة الإصرار فيها حدا التهديد بالقتل والتصفية الجسدية، الأمر الذي يحمل معه مؤشرات واضحة على أن ذلك لم يكن إلا مؤامرة خطيرة تستهدف تكريس الأمور في غير نصابها، وبالذات على حساب أهل البيت، وعلى حساب قضيتهم التي هي قضية الإسلام الكبرى..

وإذا أردنا أن نكون أكثر تحديدا في عرضنا لحقيقة الظروف التي كانت تفرض نفسها آنئذ، فإننا نقول: انه.. وان كانت قد سنحت الفرصة للإمام الباقر و الصادق عليهما السلام، ليقوموا بدورهم الطليعي في تربية الطليعة

المثقفة والواعية، حتى ليمكن القول: ان هذه الطليعة هي التي كانت تمثل التيار العام الذي يهيمن على مختلف القطاعات تقريبا.. والذي استمر كذلك حتى عهد الإمام الرضا عليه السلام.

وهذا الأمر، وان كان ينعكس على كافة القطاعات في الساحة الإسلامية، وكان له اثر لا ينكر في التكوين الفكري والعاطفي في الناس عموما.. ولكن هذا الأثر لم يتعد بعده العاطفي، والفكري الجاف، ولم يصل إلى درجة التكون العقيدي الراسخ، الذي من شأنه أن يجعل الفكر الحي يتفاعل مع العاطفة الصادقة في داخل الإنسان، ليكون وجدانا حيا من شأنه أن يتحول إلى موقف رسالي على صعيد الحركة والعمل..

وعلى هذا.. فلم يكن يمكن الاعتماد على هذا الوعي، ولا على تلك العاطفة في القيام بحركة تغييرية جذرية وحاسمة، ولا سيما بملاحظة ما كان يهيمن على الناس عموما من ميل قوي للراحة وللحياة المادية، ومن استسلام لحياة الترف و اللذة، التي تستتبع الضعف و

الركود والخوف من الإقدام على آية حركة تغييرية تستهدف ما ألفوه واعتادوا عليه. ولو فرض انهم في غمرة هيجانهم العاطفي نجحوا في حسم الموقف لصالح الاتجاه الآخر؛ فان رصيدا كهذا – فكريا عاطفيا وحسب أي من دون بعد عقيدي، وفناء وجداني – لن يكون قادرا على حماية استمرارية الحركة بسلامة وصفاء ولا على تحمل مسؤلياتها التغييرية التي سوف تستهدف جزءا كبيرا من واقعهم وأنفسهم. بل سوف ترتد هذه الحركة على نفسها لتأكل أبناءها، وتنقض مبادئها، وتستأصل نبضات الحياة فيها.. وذلك لان العاطفة سيخبو وهجها. ما دام لم يعد ثمة ما يثيرها و يؤججها.. وسيصبح الفكر ركاما جافا وخامدا، حينما تهب عليه ريح المصالح والأهواء والشهوات؛ لتجعل منه هشيما تذروه الرياح إن لم يمكن استخدامه وقودا لها، يعمل على استصلاحها، وتوجيهها، ويهيئ الفرصة للاستفادة منها على النحو الأكمل و الأمثل..

هذا كله.. لو أمكن أن تصل الحركة إلى درجة الحسم لصالح الاتجاه الآخر.. ولكنه فرض بعيد، وبعيد جدا، كما أثبتتها التجارب المتكررة في أكثر من قرن من الزمن.. حيث رأينا بوضوح: كيف فشلت الحركات الزيدية الكثيرة جدا، وكيف سهل القضاء عليها، حتى أصبحت في خبر كان، حتى وكأن شيئا لم يحدث رغم سعة نفوذ الزيدية على مختلف الأصعدة، وفي مختلف المجالات، ورغم سيطرتهم التامة على الأمور، سياسيا، وإعلاميا، وثقافيا، وعاطفيا وغير ذلك.. كما أوضحناه في كتابنا الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام.

وما ذلك.. الا لان الحركات الزيدية - وهي حركات سياسية بالدرجة الأولى، ولم يكن لها أصالة فكرية وعقائدية راسخة، تنطلق من الروح، وتنبع من الوجدان - هذه الحركات إنما كانت تعتمد على ذلك المد العاطفي الهائل، وعلى ذلك الوعي الثقافي الجاف.. الذي لم يصل إلى حد مزج العاطفة بالفكر، والفكر بالوجدان

لينتج موقفا رساليا تخاض من أجله اللجج، وتبذل دونه المهج.. بل كان يجد من العراقيل والمعوقات النابعة من داخل أنفسهم ما يجعل الاعتماد عليه اعتمادا على سراب، وذلك هو ما يفسر لنا كيف انه حينما كان الناس يواجهون الأمور بجدية، ويبلغ الحزام الطبيين، يعودون إلى دنياهم، ويركنون إلى حياة السلامة والدعة، حسب تصورهم، وما ينسجم مع هوى نفوسهم.. ولا يهمهم ما يحصل بعد ذلك، ولا ماذا تكون النتائج.

واذن.. فلم يكن للأئمة والحالة هذه: أن يقدموا على المجازفة في ظروف كهذه لأن معنى ذلك: هو أن ينتهي أمرهم، وبسهولة ويسر تماما، كما كان الحال بالنسبة للزيدية وإضرابهم..

وبعد ذلك كله.. فإنه إذا كان الإمام عليه السلام يدرك ذلك كله بوعي وعمق وإذا كان يتعامل مع ذاك الواقع بثقة ومسؤولية وبرسالية القائد الفذ، والإمام الشاهد.

فإنه يسجل ذلك كله ويلمح إلى نتائج ومعطيات واقع كهذا بكلمتين، وبكلمتين فقط، فيكون نقش خاتمه عليه السلام: " ما شاء الله لا قوة إلا بالله " (١) كما كان مكتوبا على خاتم الإمام الصادق تقريبا.

نعم.. وان هذين الكلمتين تنسجمان كل الانسجام مع واقع المأمون وطموحاته، وكذلك مع الواقع الذي يعيشه الإمام ومسؤلياته، ثم.. وأخيرا.. مع ظروف الأئمة ومقدراتها على جميع الأصعدة، وفي مختلف المجالات..

ويلاحظ: أن هذه الفترة تبدو وكأنها فترة انفراج بالنسبة لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، حيث لا يتعرض الحكم فيها للإساءة لأهل البيت بشكل علني وسافر، وإنما هو يتظاهر بالمحبة والولاء لهم، وبمزيد من مظاهر التقدير والإكرام والحفاوة بهم، وان كان يبغي لهم الغوائل في الباطن، ويعمل بشتى الطرق ومختلف الأساليب للاستئصال شأفتهم، واقتلاع كل جذورهم، ولأجل

---

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ / ٤٧٤ والوسائل ج ٣ ص ٤١٠ والبحار ج ٤٩ ص ٢ ومسند الامام الرضا (ع) ج ٢ ص ٣٦٣

ذلك.. فإننا لا نجد في هذه الفترة من حياة الإمام الرضا عليه السلام، وكذلك في فترة حياة الإمام الجواد عليه السلام ما يشير إلى التذكير بما يتعرض له الأئمة وشيعتهم من ألا لآم.. لأن رفع شعار كهذا لن يكون مفهوما للناس وحتى لا يكون مقبولا أيضا..
ولكننا نجدهم عليهم السلام يرفعون الشعار الآخر: المتقدم آنفا، للإشارة إلى أن المشيئة لله سبحانه، وبه وله القوة والقدرة، فلا يجب أن يغتر أحد بما يراه من مظاهر خادعة، بل عليه أن يتعامل مع الأمور بوعي وبعمق، وبعد نظر وبمسؤولية حسبما تقدمت الإشارة إليه..
الإمام الجواد عليه السلام:
وبعد تمكن المأمون من تغيير مجريات الأمور لصالحه ولصالح تثبيت دعائم الحكم العباسي، عن طريق إجبار الإمام الرضا عليه السلام بقبول ولاية العهد، وبيعة

الناس له عليه السلام بها.. ثم تمكنه من تصفية الإمام عليه السلام جسديا بدس السم إليه..
وبعد أن أخمدت الثورات وخنقت جميع الأصوات، وعادت المياه إلى مجاريها بين المأمون وبين بني أبيه العباسيين فان من الطبيعي: أن يشعروا (المأمون والعباسيون وأعوانهم): أنهم قد حققوا غاية آمالهم، وحصلوا على أعز و أغلى أمنياتهم، ألا وهي تثبيت دعائم ملكهم، وترسيخ أركان سلطانهم، وانه لم يعد ثمة أية قوة تستطيع أن تقف في وجه جبروتهم، ومقابل فاحش طغيانهم.. بعد كل ذلك.. فإننا نلاحظ: أن نقش خاتم الإمام الجواد عليه السلام يتحدى كل تصوراتهم تلك، ويدين جميع مظاهر بغيهم وظلمهم؛ فيكون هو " نعم القادر الله " (١)
وهو نفس نقش أحد الخواتيم التي كانت لأمير المؤمنين عليه السلام من قبل..
الإمام الهادي عليه السلام:

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٥٢ والبحار ج ٥٠ ص ١٥

الف: وأما الإمام الهادي عليه السلام، فقد كان يعيش في زمن ارتدت فيه عادية العباسيين على أهل البيت بشكل علني وسافر.. وذلك في زمن عادت فيه الشوكة لأهل الحديث المعروفين بنصبهم و عداوتهم لأمير المؤمنين عليه السلام، وأهل بيته الأطهار عليهم الصلاة والسلام.. حيث ضعف أمر المعتزلة وتلاشت قوتهم.. بظهور المتوكل العباسي، الذي كان من أشد الناس نصبا وعداء لعلي وأهل بيته عليهم السلام.. وكان المتوكل هذا هو الذي يتبنى تقوية أهل الحديث الذين كان يتزعمهم أحمد بن حنبل، وإعادة الشوكة والقوة لهم..

ويطمئن العباسيون من جديد إلى قوتهم وثبات أقدامهم بعد قضائهم على المعتزلة، ولكنهم يدركون أن الخطر الحقيقي إنما يتهددهم من قبل أهل البيت عليهم السلام، فيوجهون كل اهتماماتهم إلى مضايقة أهل البيت وشيعتهم ما وجدوا إلى ذلك سبيلا.. فكانت هذه الفترة شبيهة إلى حد ما في تقلباتها وتحولاتها من حيث انتقال القدرة من فريق إلى فريق، ثم اطمئنان هذا الفريق إلى

مستقبله في الحكم، وتوجهه للأئمة عليهم السلام ليقضي على نبضات الحياة في حركاتهم وفي مواقفهم، لأنه يرى فيهم مصدر الخطر الحقيقي الذي يتهدد وجوده في الحكم، واستمراره فيه - لقد كانت هذه الفترة شبيهة إلى حد كبير ببعض مراحل حياة الإمام الصادق عليه السلام - وهي آخر مرحلة من حياته عليه السلام عاشها مع المنصور العباسي.

فيتعرض الإمام الهادي عليه السلام للإقامة الجبرية، ولمختلف أنواع الكيد والمكر التي تستهدف حياته ووجوده، فقد كان المتوكل يكرمه في ظاهر الحال، ويبغي له الغوائل في باطن الأمر على ما صرح به ابن الصباغ المالكي، وغيره. (١)

واذن.. فطبيعي: أن يكون نقش خاتمه عليه السلام في ظروف كهذه هو: " الله ربي وهو عصمتي من خلقه " (٢). وهو نفش نقش خاتم الإمام الصادق عليه السلام، حسبما تقدم..

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٢٦ والارشاد للمفيد ص ٣١٤ والبحار ج ٥٠ ص ٢٦٣

(٢) الفصول المهمة ص ٢٦٣ والبحار ج ٥٠ ص ١١٦ / ١١٧

باء: ومن جهة أخرى.. فقد بدأت مرحلة جديدة، لابد من التعامل معها برؤية جديدة، وهي التمهيد والأعداد النفسي للأمة لمواجهة حدث الغيبة للإمام الثاني عشر، الذي كانت المؤشرات كلها تجمع على انه لن يتمكن من مواصلة المسيرة بشكل علني وسافر.

هذه المرحلة.. التي يمكن أن تعتبر إمامة الإمام الجواد عليه السلام، وهو صغير، واحدة من مقدماتها القريبة التي تساعد على فهم بعض جوانبها الهامة جدا..

وفي ظروف كهذه فإنه يكون لابد من التذكير للأمة المؤمنة بأن عليها أن تحفظ الخط، وان تلتزم وتفي بما أخذته على نفسها من التسليم والتصديق، والانقياد لأوامره سبحانه وتعالى، ولقضائه ومشيئته، فلا تأخذهم حيرة الضلالة، ولا يستسلموا لتهريشات الآخرين وتشنيعاتهم، التي لا تستند إلى ركن علمي أو عقلي وثيق..

وان عليهم كذلك: أن لا يذوبوا في الجو العام، ولا يركنوا إلى الدنيا وزخرفها، ولا يستسلموا لأهوائهم

ولمصالحهم الآنية على حساب مصلحة الإسلام العليا، وقضيته الكبرى..
بل، أن عليهم أن يحفظوا النبي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم في عترته، وفي دينه وقرآنه، كما أن عليهم أن يتخلقوا بأخلاق الله سبحانه، فان: " حفظ العهود من أخلاق المعبود " كما جاء في نقش خاتم الإمام الهادي عليه الصلاة والسلام. (١)
الإمام العسكري عليه الصلاة والسلام:
وقد كان لابد للأمام العسكري عليه السلام من أن يعلن لهم بشكل صريح وواضح: أن الإمام بعده لن يكون حاضرا بينهم، وأن عليهم أن يعدوا أنفسهم لمواجهة حالة كهذه، كما أن عليهم أن يجعلوا نصب أعينهم حقيقة: أن غيبته عليه السلام لا تعني أن كل شئ قد انتهى، وذلك لأن الله هو الرقيب وهو الشهيد عليهم،

على حد قوله تعالى، حكاية عن عيسى عليه السلام. "... ما قلت لهم إلا ما أمرتني به: أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شئ شهيد ". (١)
والآيات التي تتضمن شهادة الله والأنبياء وغيرهم، على الناس كثيرة. (٢) لا مجال لذكرها..
نعم.. ويأتي نقش خاتم الإمام الحسن العسكري عليه السلام ليؤكد هذه الحقيقة، ويتعامل معها، فيكون: " ان الله شهيد ". (٣)
وفي نص آخر، منسجم أيضا مع هذه الحقيقة تمام الانسجام: " سبحان من له مقاليد السماوات والأرض ". (٤)
الإمام المهدي عليه السلام:

وأخيرا.. وأما نقش خاتم الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وجعلنا من أنصاره وأعوانه، والمستشهدين بين يديه، فلم اظفر به في هذه العجالة، ولكنني مطمئن إلى انه منسجم كل الانسجام مع الظروف والحالات والأوضاع التي يواجهها صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطيبين الطاهرين..

كلمة ختامية:

وأخيرا.. فقد كانت تلك دراسة تكاد تكون موجزة فيما يتعلق بنقش خواتيم النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم الصلاة والسلام..

ولا أدعي إنني استطعت استيعاب كل ما يرتبط بهذا الموضوع، فان ذلك متعذر بل متعسر في عجالة كهذه..

ولكن مما لا شك فيه هو: أن هذا البحث يعتبر بداية مشجعة ومرضية على طريق الكشف، الكامل والوافي عن الظروف والملابسات المحيطة بهذا الموضوع..

وفي الختام.. فإنني أسأل الله تعالى.. أن يوفقنا لمزيد من العمل الجاد والدائب في سبيل الكشف عن مختلف جوانب حياة الأئمة عليهم السلام، والاستفادة منها ما أمكن في حياتنا وفي مواقفنا.. إن شاء الله.. انه خير مأمول، وأكرم مسؤول.. " والله هو الموفق والمسدد، وهو المعين والهادي. "

جعفر مرتضى العاملي

مصادر ومراجع البحث

١ - القرآن الكريم

٢ - اختيار معرفة الرجال: المعروف برجال الكشي

٣ - الإرشاد: للشيخ المفيد

٤ - الاستبصار للشيخ الصدوق

٥ - الأمالي للشيخ الصدوق

٦ - البحار العلامة المجلسي

١ – البداية والنهاية لابن كثير
٢ – تاريخ الخميس للديار بكري
٣ – تاريخ جرجان للسهمي
٤ – التراتيب الإدارية للكتاني
٥ – التهذيب للشيخ الطوسي
٦ – ثواب الأعمال للشيخ الصدوق
٧ – جواهر الأخبار والآثار للصعدي
٨ – حلية الأولياء لأبي نعيم
٩ – حياة الإمام الباقر (ع) للقرشي
١٠ – حياة الإمام موسى بن جعفر (ع) للقرشي
١١ – الحياة السياسية للإمام الحسن (ع) لجعفر مرتضى العاملي
١٢ – الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام لجعفر مرتضى العاملي
١٣ – الخصال للشيخ الصدوق
١٤ – دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام لجعفر مرتضى العاملي

١ – دعائم الإسلام للقاضي النعمان
٢ – سفينة البحار للشيخ عباس القمي
٣ – السنن الكبرى للبيهقي
٤ – علل الشرائع للشيخ الصدوق
٥ – الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) لجعفر مرتضى العاملي
٦ – الطبقات الكبرى لابن سعد
٧ – عنوان المعارف للصاحب ابن عباد
٨ – عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق
٩ – عيون الأخبار لابن قتيبة
١٠ – الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي
١١ – قرب الاسناد للحميري
١٢ – الكافي للكليني
١٣ – كشف الغمة للأربلي
١٤ – كشف القناع
١٥ – مآثر الإنافة في معالم الخلافة للقلقشندي
١٦ – مختصر التاريخ لابن الكازروني

١ – مسند الامام الرضا عليه السلام للعطاردي
٢ – المعجم المفهرس
٣ – مكارم الأخلاق للطبرسي
٤ – المناقب لابن شهر آشوب
٥ – نهج البلاغة (جمع الشريف الرضي)
نور الأبصار للشبلنجي